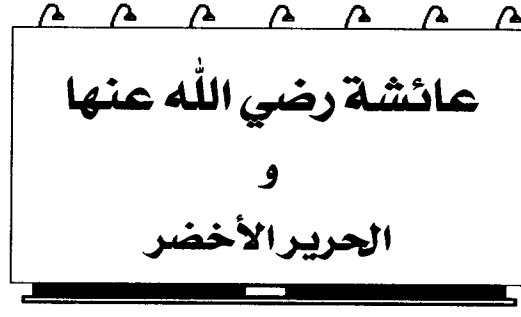
عائشة رضي الله عنها
و
الحرير الأخضر

عائشة رضي الله عنها والحرير الأخضر

لمكة المكرمة أن تسعد وهي ترى بواكير فجرٍ جديد، يُطلُّ عليها من هناك من فوق غار حراء...

إنها الرحلة الجديدة في عالم الإيمان واليقين، ستبدؤها مكة في موكبٍ روحيٍّ فريد، يقوده ذلك الفتى اليتيم الذي اصطفاه الله تعالى ليكون أفضل خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله.

لمكة المكرمة أن تنفض عن أهدابها ظلام الجاهلية الذي حال بينها وبين مصادر النور...

لها أن تصحو صباحاً على آياتٍ بيّناتٍ تُتلى، بعد أن كانت لا تصحو إلا مذعورةً على صيحات أبي جهلٍ وأبي لهبٍ وأمية بن خلف.

لمكة أن تقول:

مَنْ أبو جهل، ومن أبو لهب، ومَنْ أميَّة بن خلف؟؟. بل إنَّ لها وهي في نشوة السعادة أنْ تتلوَ في خشوع:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾.

ولها أن ترفع صوتها الشجيّ، تتلو مع نبيِّها الكريم:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾.

لمكة أن تبتسم بعد طول عُبوس لأنَّ فتاها اليتيم قد أصبح (خاتم النبيين)، وقبل ذلك كان الرَّجُلَ الأمين الذي يتفق على أمانته جميع المحبين والمبغضين.

كأني بجبال مكة ووهادها ... بصخورها وحبات رمالها ... بأوديتها وشعابها تلتفت إلى الوراء، لترى ذلك الركام الهائل من عادات الجاهلية الجهلاء، وتقاليدها البالية وأنظمتها الفاسدة، ثم تُلقي بنظرة حانية على وجه ذلك الفتى المبارك .. النبيّ الأمي، فما تكاد ترى في وجهه إشراقة نور الإيمان، حتى تُردِّد في يقين:

تبارك الله أحسن الخالقين الذي أسعدني برؤية هذا النور الصافي بعد ذلك الظلام الرهيب.

إنها رحلةٌ جديدة يامكة الخير، لها روعتها وجمالها، ولها مع ذلك تعبها وعناؤها.

أبشري يابلّدة الخير فسوف تخرجين من سجن الجاهلية، وسوف تنطلقين من قيودها الرَّعناء .. ولكن ذلك سيكون بعد صراع عنيفٍ بين الحقِّ والباطل، بين الإيمان والكفر، ولا تخافي ولا تحزني..

سيحملك فتاك الأمين إلى قمم الإيمان، ولكنْ بعد أن يزحزح من الطريق سدود الجاهلية التي بُنيت على الضلال المبين.

لكأنني بك يا مكة الخير تتساءلين في أسى:

أما ترى عيون عُصاة الكفَّار وعُتاة قريش ما أراه من دلائل الحق وبشائر الخير؟

أما يستطيعون - وهم أرباب الفصاحة - أنْ يفهموا ما يتلوه عليهم هذا النبيُّ الكريم؟؟

وإذا كانوا يفهمون - وهذا ما أكاد أجزم به - فلماذا يظلون يكابرون؟!

صبراً يا بلد الخير فإنَّ لكل أجلٍ كتاباً.

لقد كان عُتاهُ المشركين في جبروتهم وغيِّهم يتقلبون يصرخون ويتوعَّدون، وعلى جُثث المؤمنين الصامدين من عبيدهم وإمائهم يتسامرون، وما كانوا يدركون - حينها - أنَّ الأرض تتزلزل من تحتهم، وأن النور يسري في عروق مكة دون أن تراه عيونهم، وأنَّ أنهار الإيمان تجري في القلوب الظَّماء، فتبدِّد عنها الأهواء، وهم في سكرتهم يلعبون.

نعم يا مكة الخير، إنَّ محمداً هو رسولُ الله عليه الصلاة والسلام، وهو خاتم الأنبياء، وسيِّد المرسلين ولكنَّ قومك لا يفقهون.

﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

إنه لا ينطق عن الهوى، بل يتحرَّك بإرادة الله، وينفِّذ ما يُؤمَر به، إنه المؤيَّد بوحي السماء.

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

وأنَّى لقوى الأرض مهما كانت أن تواجه إرادة الحيِّ القيوم؟؟

إنَّ حالة الرسول ﷺ حالةٌ فريدة، فهو ليس طالب مالٍ ولا جاه، وليس رجلَ ثورةٍ سياسيةٍ أو اجتماعية أو اقتصادية، كلا، ولكنّه رسول الله سبحانه وتعالى وكفى.

هذه هي الحقيقة التي عجزت عن استيعابها أذهان مشركي قريش المشحونة بهياكل الأوثان وصورها؛ ولذلك تخبَّطوا في التعامل مع هذه الحالة الفريدة حتى خسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

نعم يا مكة الخير...

إنَّها النبوَّة... والنبوَّةُ تعني تلك الصلة المتميِّزة التي لا تنقطع بين النبيِّ الكريم وبين الذي اصطفاه الله نبياً من فوق سبع سماوات «ربّ العالمين».

هنا، في هذه القمة نشأت علاقة (صاحبة الحرير الأخضر) بسيِّد الخلق عليه الصلاة السلام، فكانت علامة قوية راسخةً مرتبطة بالسماء.

مُرْتبطة بالسماءْ؟

نعم ...

إنَّ أباها (أبا بكر) هو الرجل الأوَّل الذي قال للرسول عليه الصلاة والسلام: «نعم» بملءِ فمه ..

ثم لم يقل له بعدها: «لا» أبداً..

كان إيمانُ أبي بكر الصّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقوى رسوخاً من الجبال الراسيات.

لقد كان ذا رؤية صافية، يرى بها حقيقة الصلة المتميِّزة بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين خالقه ومرسله إلى الناس أجمعين - سبحانه رب العالمين -.

ولذلك ظل الصِّديق يواجه كلَّ مرحلةٍ من مراحل الدعوة، وكل حادثة من حوادثها الكبرى والصغرى، وكل كلمة ينطق بها الذي لا ينطق عن الهوى، ظل يواجه ذلك كلَّه بكلمة «صدقت».

فكان جديراً بلقب الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما ابنته (صاحبة الحرير الأخضر) عائشة، فقد اتصلتْ اتصالاً قوياً بوحي السماء، من خلال أبيها أبي بكر الصديق أوَّلاً، ثم من خلال زواجها المبارك من رسول الله ﷺ، حيث أكرمها الله سبحانه وتعالى بالدخول إلى بيت النبوَّة من أوسع الأبواب، وزادها ربُّها إكراماً بدخولها إلى قلب رسول الله ﷺ حتى أصبحت أحبَّ زوجاته إليه.

كيف دخلتْ بيتَ النبوَّة؟

وما قصَّة الحرير الأخضر؟.

«عن ابن أبي مُلكية عن عائشة رضي الله عنها أن جبريل عليه السلام جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبيّ ﷺ فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة».

وفي رواية أخرى: أن جبريل عليه السلام عرض على الرسول ﷺ صورة عائشة في سَرَقةِ حريرٍ في المنام لما توفيت خديجة[1].

نعم يا مكة الخير ..

إنّها النبوة المتصلة بالسماء وكفى ..

وإنها صاحبة الحرير الأخضر التي اختارها الله سبحانه وتعالى زوجاً صالحة لرسوله في الدنيا والآخرة.

وما أروعها من إشارة لطيفة دقيقة رويت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما انتشر بين الناس حديث الإفك.

فقد رُوي أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام: مَنْ زوَّجها لك يا رسول الله؟

قال: الله تعالى.

---

(١) أسد الغابة، ٦/١٩١.

قال عمر: أفتظن أن الله دلَّس عليك فيها - سبحانك هذا بهتان عظيم - نعم...

إنه الارتباط بالسماء.. وما دام جبريل عليه السلام قد عرضها في قطعة الحرير الأخضر على الرسول ﷺ وأخبره أنها زوجه في الدنيا والآخرة، فإن الله سبحانه وتعالى لا يختار لرسوله إلا طاهرةً مطهَّرة، بعيدةً عن مواطن الرِّيبة والشك.

طُوبى لكِ يا مكة، فها هو ذا فَتَاكِ اليتيم قد أصبح سيِّدَ ولد آدم وخاتم الأنبياء والمرسلين، ورسول الثقلين. لكِ بعد هذا - يا مكة الخير - أنْ تنظري بعين الاحتقار إلى بَهْرَج الجاهلية، ومظاهرها الزائفة، وأن تشكري الخالق العظيم على ما هيَّأ لكِ من نور الإسلام، الذي بدَّد عنك ظلام الأهواء والأوهام.

لك أن تردِّدي مع الكونِ كلِّه:

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

وبشرى لكِ يا مدينة الخير، يا طَيْبَةَ الطيبة، بشرى لكِ بهذه الهجرة المباركة، وبهذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وبالمهاجرين معه.

لكأنني بمكة والمدينة تنظران بإعجاب إلى بيت النبوة الطاهر، وإلى تلك المرأة الجليلة الفاضلة، العالمة، الأديبة التي قال عنها

زوجها وحبيبها عليه الصلاة والسلام: «**والله ما نزل عليَّ الوحي، وأنا في لحاف امرأةٍ منكنَّ غيرها**».

والتي قال لها ذات يوم: «**ياعائشُ، هذا جبريل يُقرئك السلام**، فقالت: وعليه السلام ورحمةُ الله وبركاته - ترى ما لا أرى -».

والتي قال عنها عليه الصلاة والسلام، فيما رواه أَنَسُ بن مالك:

«فضل عائشة على النساء، كفضل الثَّريد على سائر الطعام».

لكأنني بمكة والمدينة تنظران إلى هذه المرأة بإعجابٍ وتقدير؛ وهي تُفتي، وتعلِّم الناس، وتُناقش وتعظ النِّساء، وتفسّر آيات القرآن الكريم، وتُنشد الشعر الأصيل النَّقيّ.

تنظران إليها، ثم تتذكَّران صورتها في طفولتها، وهي تنمو وتترعرع في بيتِ إيمانٍ ويقين، وعلمٍ ووعي، وفصاحةٍ وبلاغة.

وإن مكَّة بالذات لتلوح بذهنها (خرقة الحرير الخضراء) التي عرضها جبريل على الرسول ﷺ فتقول: ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ** ﴾.